قرأت العدد الماضي من الآداب

القصص

سعيد حورانية

قناديل نازك الملائكة

ترددت كثيرا حينما عرضت علي المشاركة في باب « قرات العدد الماضي من الآداب » (*) . ذلك أن لي في الامر تجربة مريرة ؛ فالنقد في عالمنا العربي لا يزال طفلا يتيما لا يجد من يدافع عنه . ناهيك عن انني لست بناقد ، وانما أنا قصاص مع ما يجر ذلك من حساسيات لدى بعض الكتاب الذين لا يعرفون من الالوان سوى الابيض والاسود .

ويزداد الامر حرجا ـ ان لم نقل سوءا ـ عندما يتناول النقد الاسماء الكبيرة التي وضعت حول راسها هالات القديسين ؛ فالحاشية لا تقبل الا التطبيل والتزمير لكل ما يصدر عن معبودها ولو كان خرفشة ولعيا وصفّ كلام .

لم يقل أحد لطه حسين ، الذي لا نشكّ في انه احدى المنارات المضيئة في الفكر العربي المعاصر ؛ بشكه الديكارتي في بعض أطروحات التراث المبجل الذي تمترس خلفها الفكر الاقطاعي اليميني والغيبي ؛ والتي أحالها العميد الى هباء ... نعم لم يقل أحد لطه حسين : انك يا عميد الادب العربي قصاص رديء رغم النية الطيبة ؛ والهموم الاجتماعية الحقة التي حملتها رواياتك وأقاصيصك . ولم يقلّ أحد للعقاد انك غريب عن ملكوت الشعر ، فلقد كتبت أشعارا لم يكتب أردأ منها في دائرة قطرها ألف ميل . ولم يقل أحد للمسرحي الكبير توفيق الحكيم : انك تعيش ومعظم مسرحياتك قد ماتت منذ زمن طويل . نعم الم اقل لكم ان النقد طفل يتيم ؟

ولذلك فلنغفر لنا شاعرتنا الكبيرة نازك الملائكة التي اعلنت توبتها عن نزق الشباب بتراجعها عن هرطقة التجديد .. لتغفر لنا ما سنقوله بهذه المفاجاة القصصية التي أتحفت قراء «الآداب» بها وهي « قناديل لمندلي المقتولة » .

يدهش المرء عندما يقرا القصة من جهل الكاتبة العميق لواقع الحياة وبعدها عن اقناع الفن الذي لا فن بدونه .

قطعت الحكومه الايرانية المياه عن قرية مندلي الخضراء بتحويل مجرى نهر السيبة الذي كان يسقي أرض مندلي وسكانها بتواطؤ مع حكومة نوري السعيد (الدي قبض من الشاه رشوة كبيرة) وكمّ بالحديد والنار من انتقد ذلك . فأخذ اهلها يهاجرون واحدا بعد الآخر في طلب الرزق ومنهم أبو أحد أبطال القصة أسعد الذي تبدا القصة بذهابه وأخيه الى المدرسة !!

ويجري حوار مصطنع فصيح جدا وعالي المستوى بين الاخوين ؛ يفهم فيه أسعد أخاه عمر ان الذهاب الى المدرسة (واجب وطني) وانه يجب أن نتعلم (لننقذ نهر السيبة ومندلي) ولكنه عندما يصل الى المدرسة يترك التعلم جانبا ويتحدث في السياسة ، الامر الذي أرعب الاستاذ . ان أسعد يفكر على هذا النحو :

ـ وحكومة ايران اليست مسلمة لتقطع الماء عن مندلي المسلمة ؟

هل يجوز قطع الماء اذا كانت مندلي غير مسلمة ؟

وتعاد هذه النغمة الدينية مرات ومرات علىلسان أبطال القصة وكأنما القضية قضية دينية لا قومية ، مما يؤكد محاولة الكاتبة تثبيتها في أذهان القراء على هذا النحو المتخلف . ويهيم أسعد في أحلامه المتمركزة على نهر السيبة وخلاص مندلي اثناء القاء الاستاذ درس

(*) تاخر وصول هذا المقال ، فلم ينشر في العدد الماضي الذي كان ينبغي أن ينشر فيه (ملاحظة التحرير) .

النحو عن الفعل المبني للمجهول وعن نائب الفاعل (يا له من رمز مسكين !) وتختلط الاحلام بدرس النحو في صفحتين مرهقتين وثقيلتي الظل حتى ابعد الحدود . انظر مثلا الى هذا الحوار العجيب :

قال الاستاذ رفعت :

ـ اسعد . أعرب هذه الجملة : « المروج قطع عنها السماد » .

ـ المروج مبتدأ مرفوع رفع عنه الماء . وقطع فعل ماض مبني للمجهول وهو راغم وحزين ومتشقق . وعنها جار ومجرور بالسلاسل والسد الحديدي . الماء نائب فاعل معذب يريد أن يركض ولا يستطيع .

وعندما يحتج الاستاذ على تغيير العبارة ينفجر أسعد :

ـ أعذرني يا أستاذ . اني تحولت الى شظايا فعل مبني للمجهول ، ولو كان مبنيا للمعلوم لجرى الماء معطرا في نهر السيبة الميت . ولكن الافعال كلها مقصوصة الاجنحة لا تستطيع الطيران . وأبي يحمل على كتفيه مئة نائب فاعل ثقيلة جدا ... وأمي تسلق في القدر مفعولا به لنتغدى هذا اليوم .

ويعطش الصغير عمر ، ونكتشف ان كاسا من الماء الاخير في بيت أم أسعد تقاسمه الثلاثة صباحا قبل أن يتركا الأم العطشى الى المدرسة لتأدية واجبهما الوطني لا للتفتيش عن ماء للشرب والطبخ ، وعلى هذا النحو من الميلودرامية البائسة تدور أكثر أحداث القصة. يستفيق أسعد من أحلامه عازما على فتح السد . ويستدعي بعد نهاية الدرس أربعة من أصدقائه ويقول :

ـ سأذهب الليلة لأعيد الماء الى مندلي (يا للقرار المتأخر جدا) وأنا أحب أن تصحبوني الى هناك وأنتم شبان المدينة وسواعدها .

وبعد تردد قصير وخاصة من ابراهيم يوافقون بعد حوار طويل ترتفع فيه راية الاسلام خفاقة . وفي تلك اللحظة تخبطنا الكاتبة خبطة ميلودرامية مزلزلة : فالشرطة يضربون طفلا صغيرا ينتقد عمل الحكومة حتى الموت .. نعم حتى الموت ، والثوريون الخمسة ينظرون من شباك الصف ويتفلسفون . بل ان الكاتبة التقدمية وجدت هنا ، وفي هذه اللحظة بالذات ، مجالا لتدافع عن الشرطة :

ـ ماذا نستطيع أن نفعل أمام شرطة نوري السعيد؟

قال له أسعد :

ـ ليس كل الشرطة قساة ومجرمين . ان الشرطة أفراد من الشعب مثلنا . وهم مجرد مستخدمين لدى حكومة نوري السعيد .

اللهم صبرا ، فالانسان لا يستطيع امساك نفسه عن الغضب مهما كان حبه قويا للتماثيل . المهم ان الابطال الاشاوس يجتمعون ليلا ، ويذهلنا ابراهيم الذي تردد في بادىء الامر بجرأته على ترك أبيه العجوز الذي لا يستطيع أن ينهض من الفراش بدونه . يتسللون من تحت الاسلاك بسهولة .. وها هو نهر السيبة الجاري على بعد خمسين خطوة منهم . نعم .. خمسون خطوة فقط ! وبصدفة سعيدة وبتوفيق من الله ، لم يلحظهم حرس الحدود رغم القمر الساطع ، وبصدفة أكثر سعادة وبتوفيق اكبر . وجدوا السد غير مقفل . فيتجرد ابراهيم من ثيابه ـ ما عدا ملابسه الداخلية ـ هكذا طمأننا الكاتبة ، ويغوص ليفتح المصرف . عفوا : السد . ذلك أن فتى صغيرا يفتح سد نهر كبير بعجوبة هرقلية . الا اذا كان نهر السيبة ساقية أو نهيرا صححته الكاتبة عن حب .

المهم : ها هو السد الكبير ينفتح . وها هي المياه تتدفق في مجرى السيبة لتعيد الحياة الى مندلي . ولكن ابراهيم لا يخرج ! رجلاه واقفتان مستقيمتان ممدودتان الى السماء . ما القصة ؟ ان ابراهيم المسكين قد غرق ! شعر رأسه الطويل الذي نسيت الكاتبة ان تمهد له ولو بتلميح ، علق بسلاسل المصرف . أما كيف بقيت رجلاه واقفتين فوق الماء وهو ميت فعلم ذلك عند علماء التشريح . ويخلصه الرفاق فاذا على ثغره ابتسامة فرح كأنه عانق الموت صديقا حميما ! ولم لا ؟ فتشنجات الغريق ليست للشهداء . ويسيرون به باكين ، ويعبرون به الحدود بعد أن دبّ الوقر في آذان الحراس الايرانيين. فلم يسمعوا لا صراخا ولا بكاء . وتنتهي القصة بقصيدة نثرية مدرسية عن الشهادة وشرف الاستشهاد .

لم تستطع العاطفة الحارة اللفظية ، ولا الحوار الشعري الذي يفوق مستوى الاولاد ، أن ينقذ قصة نازك الملائكة التي أخذت تفرق منذ بدايتها ، انها قصة قد تصلح للاطفال اذا ما ضغطت وبسطت . فالاطفال ذوو خيال يرمم فجوات الواقع. قد يغفر القارىء للشاعرة المبدعة بأنها تجرب حظها في القصة بعد هذا العمر الطويل . الذي نسأل الباري أن يمد فيه ، مع الشعر . وقد يغفر لها كما يغفر لبدايات الكتاب .. ولكن الواقع لن يغفر لها هذا التجاهل لوجوده . والفكر لن يغفر لها هذه الطروحات المتخلفة وهي فارسة من فرسان التجديد في الشعر الحديث .

الآن صارت ملكي ، لديزي الامير

افتقاد حسن الامان ، بل الاحساس بالوجود ، عندما تفيق صباحا فيكون أول فكرة تدخل الى رأسك : لا أزال حيا .. لحظة أخرى من الحياة .. تشعر بكثافة جسدك ، وبفرحة غامرة بلهاء لا تلبث أن تنطفىء بعد خروجك من الفراش .. لقد أصبح للعالم كله طعم الرماد .. هذا ما خلفته أحداث لبنان الفاجعة في قلب ديزي الامير وفي عقلها .

ليست « الآن صارت ملكي » قصة بالمعنى الحرفي للكلمة . حدث بسيط جدا . « حان موعد اذاعة النشرة الاخبارية . أدارت التلفزيون » . ثم أشعلت سيجارة وجلست تستمع الى النشرة ، انها ليست مستمعة عادية . قلبها جاف ؛ وعقلها نشط انها امرأة عاشت المأساة ، ومشاهد الاخبار في التلفزيون تثير في ذهنها آلاف الاسئلة والذكريات فتغمرنا بها باندفاع هادر كنهر صاخب .. ومن هذه الاسئلة التي لا جواب لها ؛ والتي تشدنا بعنف ، تعطينا الكاتبة ببراعة ، بانوراما ضخمة عن الحرب المدمرة ؛ وآثارها العميقة في نفسها ، انها تطرح السؤال بطريقة تحمل الجواب عليه وتطرحه بواقعية فظة ، فالامر من القساوة بحيث لا يحتمل الانشاء ، والجمل الرفيقة الرشيقة : « هذا الحبل الغليظ ، هل سيشنق به أحد ؟.. كلمة اختطاف في لبنان معناها الموت . الامل مات الانتظار مات . في لبنان ، كم تمثالا بقي ؟ دمروا ! خربوا ! قتلوا ! نكلوا ! شوهوا ! شردوا ! عذبوا ! أحرقوا ! و ... خلقوا أصناما جديدة » .

هذه المباشرة التي قد تصلح لمقالة أكثر مما هي صالحة لقصة ، تضيئها أنوار داخلية ساطعة تدفعها الى دخول رحاب الفن القصصي . واذا كان طعم الرماد يملأ شفتيك وأنت تنهي قراءتها فأنت لا تجرؤ ، مع ذلك ، مطالبة ديزي الامير بتفاؤل أبله أبيض في عالم القتل والحرائق المجنون .

شرخ ادوار الخراط

كنت لا أريد التكلم عن هذا الفصل الرائع من رواية الكاتب المتمكن ادوار الخراط . ذلك لانه فصل من رواية ؛ ومن الظلم التحدث عن فصل متلاحم مع بقية الاجزاء ؛ ولكن السحر الذي يحمله هذا الفصل أرغمني على التنويه ببضع ميزات هامة فيه .

مضى زمن طويل لم نقرأ فيه مثل هذه اللغة القصصية المشحونة النابضة بالحيوية والتوهج .. كل كلمة ، كل جملة ، فيها دهشة المفاجأة ؛ والالفة والحميمية معا .. لا لم يكتب أحد عن مصر بمثل هذا التصوف ؛ والفهم ؛ والحب الحار .. وهذه المرأة المحبوبة السمراء الشهية الغريبة الاطوار التي تذكرنا بجوستين لورنس داريل ؛ هي رمز مصر وعلاقة البطل بها علاقة الفارس الغيور على حبيبته ذات العشاق الكثيرين ؛ ولكن هدير الجماهير في انتفاضة القاهرة تشعره بأن هذه المرأة ليست له هو الذي أحبط في نضالات أيام الشباب « الصوت العميق الأجش من مئات الحناجر يهدد الليل والسماء وحيطان البيوت المسدودة ؛ وله صدى مرهوب محبوب تغرورق له على رغمه عيناه ، ويعود به الحال الى أمجاد شباب منقض واحباطاته الراقدة في آخر طبقات قلبه الموحلة بالالم والندم » . انه كشف حساب لجيل كامل من مثقفي مصر ارتفع مع موج الحركة الوطنية يطرق بيده أبواب الدنيا ، ثم يبدأ العد العكسي لكل المنجزات ويتغلغل التفكك ويفيض نبع الالم ويمد الضياع كفيه الواسعتين. وها هي انتفاضة القاهرة تضعه من جديد أمام الحقيقة المدهشة .. هذا الشعب الغاضب هو الذي سيخلص مصر :

« الجسم الواحد المتعدد بالآلاف متضخم مكظوظ ممتلىء بالاكل السحت غليظ جاف هنا ... وهنا خاسف منحوف ، عظامه صفراء مكشوفة مرمية على تراب الجوع والصمت ، يمور وينـدفع في شرايين القاهرة القديمة الشهيدة الملوثة الصابرة الفاجرة البذيئة الصاخبة المتبرجة القاتمة الوجه المكتومة الانفاس بعينيها المحترقتين أبدا ، يتمدد وينشج ويتشنج ويتهدل ويتورم وينفجر وتتفكك عراه ، يشتعل فجأة ويصرخ » .

ان الايقاع الملحمي الذي كتب فيه الفصل ، بصوره الغنية الموحية ، ولغته الشعرية المتموجة كأنها أحد ظواهر الطبيعة في مختلف تقلباتها .. من أروع ما قرأت في العربية .. وأعتقد ان جميع القراء يشاركونني اللهفة على قراءة الرواية بأكملها ، فعسى ألا ننتظر طويلا ..

الزجاج ، للطفية الدليمي

لا أحد ينكر على الكاتبة عمقها وتلون أسلوبها وقدرتها على التحدث على مستويات مختلفة ذات زمن متقطع مستفيدة من الاسلوب السينمائي .. ولكن القارىء مهما أعاد قراءة القصة يسأل نفسه دهشا : ماذا تريد الكاتبة أن تقول حقا ؟ وهل هذه القصة تجري في العراق أم في سويسرا أو السويد أو أي مكان في العالم .. ليست فيها أية نكهة عراقية أو عربية ، أناس محاصرون بالوحدة ، يحاصرهم الزجاج المحطم (رمز الى تحطيم الانسان) والزجاج الذي ينظرون الى بعضهم من خلاله ويمنعهم من الانطلاق .

« سأل الطفل أمه :
ـ لماذا يا امي نضع الزجاج على النوافذ ؟
صمتت الأم ولم تجب .

وسألت نفسها : لماذا نصنع الزجاج ؟ لنحمي أنفسنا أو نعيق أفعالنا ؟ » .

يخيل الي (أقول يخيل لان القصة تضيع القارىء في سلسلة لا تنتهي من التفلسف الوجودي الذي يقطع الحدث) يخيل لي ان مشكلة الاتصال الانساني بين الرجل والطفل العابر .. الرجل والمرأة .. الرجل

الآخر والمرأة .. الأم وطفلها .. الكل ينتظر لاهثا متقطع الانفاس .. الكل يخاف ان يخسر الآخر ولا يتملكه (والمتملك في القصة المرأة طبعا) .

احلام بورجوازية صغيرة تحسّ فيها الافتعال الذي يلجأ الى كثافة الصور (والتي ليست مبتكرة على كل حال) بشكل خانق ومجاني احيانا . ونشعر ايضا ان المشكلة يمكن أن تقال بصفحتين ولكنها مطت ومطت لتستوعب آراء يمكن أن تكتب في مقالة لا في قصة ، وهنا الخلل في أسلوب القصة . مدخل طويل يصلح لمقالة في جريدة ثم يرتفع الى ذرى الشعر الرمزي ثم يهبط مع الحوار الواقعي الضعيف ، وخاصة في آخر القصة فينكشف عنك سحر الانتظار ولوعته . المهم ان القارىء يتساءل بحق : ماذا تريد الكاتبة ايصاله الينا ؟ لقد فشلت في ايصال ما تريد ايصاله الى القارىء واتخمته بالتفلسف الذي يبدو ساذجا كحكم عفى عليها الدهر (خاصة عندما يتساءل الرجل عن معنى الحياة ، وتتساءل المرأة عما تفعله اذا رات انسانا يتحطم كالزجاج) .

ان لطفية الدليمي تستطيع حتما كتابة قصة متميزة ، ولكن طموحها الى قول كل شيء دفعة واحدة يربكها ويربك القصة القصيرة واللغة القصصية الى حد كبير .

هدايا أحمد الباقري

قصة بسيطة جدا ولكنها مؤثرة . لولا الحوار الذي بدا في بعض الاحيان ، اكبر من مستوى البطلين . ان الوحدة تحاصر ايضا هذا الفتى وهذه انفتاة ، حتى الطفلة الأخت تقف حاجزا دون الاتصال . ويبدو الحدث مقنعا ، والامل الحزين الذي تنتهي اليه القصة غير مفتعل . تقشف الكاتب في استعمال كلماته ، جعلها مبلولة بالطراوة . أحمد الباقري يستطيع أن ينفخ في اللحظة القصيرة حياة كاشفة الماضي والمستقبل وهذه هي اهم ميزات القصة القصيرة .

وظل يبكي ، لعوض شعبان

لن أقف عند هذه القصة . فليس فيها جديد ولا أعرف لماذا تدور في قطار ، الفكرة قديمة قدم العالم . والمعالجة عادية ألفناها في قصص الورداني منذ اربعينات هذا القرن .

دمشق

دار الآداب تقدم

الثلج يحترق

رواية بقلم

ريجيس دوبريه

في هذه الرواية ، يقفز مؤلف « ثورة في الثورة » الى الصف الاول من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، فينال أخيرا « جائزة فمينا » المشهورة تقديرا لموهبته وفنه .

و « الثلج يحترق » قصة رجل وامرأة ، بوريس وايميلا ، يبحث أحدهما عن الآخر ، فيلتقي به ثم يضيعه ، ثم يلتقي به ثانية ، ويحنّ اليه ويفقده ، عبر أوروبا وأميركا . في النضال والعذاب والموت والقتل . من أجل حب البشر .

اختارت ايميلا ، ابنة جبال النمسا ، أن تقاتل من أجل العدالة . وتلتقي في هافانا بشاب فرنسي ، بوريس ، نجا من ثورة أخرى ، فتسحره ، ولكنها تحب زعيما ثوريا ، هو كارلوس ، وتذهب فتعيش معه في « لاباز » ، في الخفاء والفرح ، الى اليوم الذي تغتاله الشرطة البوليفية . وتفقد ايميلا كل شيء : الرجل الذي تحبه ، والطفل الذي تنتظره ، والمعركة التي تخوضها ، ولكنها لا تترك الدرب الذي سلكته ، فمن كوبا الى التشيلي ، ومن بوليفيا الى انكلترة ، ومن باريس الى همبورغ ، تضطلع بقدرها حتى النهاية . قدر المرأة المناضلة .

ان « التاريخ » يسكن قصة هؤلاء الابطال . فهو لحمهم ، وعذابهم ، والمهم . ان سعادة بوريس وايميلا مستحيلة ، ولكن أناسا آخرين سيكونون يوما ، بفضلهما ، أقل شقاء .

ان هذه الرواية أغنية حب في مأساة عصرنا . توكيد ارادة للحياة وللنضال .

تصدر في الشهر القادم